

أحمد سامح الخالدي

تعقيب على وجهة نظر غربية فيما يتعلق بحل النزاع العربي - الإسرائيلي

سيرضي الفلسطينيون ويؤمن السلام والاستقرار في المنطقة.

وفي المقابل، هناك كثير من الشك في أن المجتمع الإسرائيلي/اليهودي، ومعه النظام الدولي، سيتوجهان قريباً أو في المستقبل المنظور، نحو تبني نموذج جنوب إفريقيا، والإقرار بعنصرية إسرائيل ونظامها السياسي، والعمل على تقويض أيديولوجيتها الصهيونية، أو محو هويتها اليهودية، ودفعها إلى التخلي عن السيطرة اليهودية على مرافق الحياة الأساسية كلها لمصلحة مبدأ "المساواة" مع العرب.

لا نريد أن نقول إن موسبرغ وجد الحل السحري لهذه المعضلة، أو إن فكرة "الدولتين المتوازيتين" تمثل، بالضرورة، الإطار العملي - أو حتى المثالي - لفض النزاع. ففرضية انتهاء حقبة السيادة الإقليمية فرضية تستحق النقاش على أقل تقدير، وهناك فارق جوهري بين التنازل الجزئي عن بعض الحقوق السيادية (كما في الاتحاد الأوروبي مثلاً)، والتخلي كلياً عن مبدأ السيادة الإقليمية والدولة - القومية (Nation-State) التي لا تزال تشكل قوام النظام العالمي. هذا من جهة؛ أما من جهة أخرى، فإن "التداخل في الأرض الواحدة" قد لا يؤدي إلى تراجع حدة الصراع أو المنافسة العربية - اليهودية على الأرض والموارد، حتى لو تم الفصل بين الجانبين سياسياً - وذلك بحسب "الهاجس"

مقالة ماتياس موسبرغ السابقة، **تعرض** سؤالاً حيوياً عن مستقبل الصراع

الفلسطيني - الإسرائيلي، والحلول الممكنة له في ظل تراجع فرص "حل الدولتين" (بشكله الكلاسيكي المستمد من برنامج منظمة التحرير الفلسطينية في سنة ١٩٨٨) من جهة، وصعوبة تحقيق حل "الدولة الواحدة" (أو الدولة الديمقراطية/الثنائية القومية) من جهة ثانية، وهل أن هناك أشكالاً أخرى أو أطراً جديدة "مبتكرة" للتسوية؟ هل يمكن تجاوز النموذجين الفكريين السائدين (دولتين/دولة واحدة) والبدء بتطوير "رؤية ثالثة" خلاقة تعكس بصدق الواقع القائم، وتستوعب الحقائق القاسية على الأرض، بغية إقامة بنية سياسية جديدة ربما تكون مقبولة من الطرفين؟

لا بد من الإقرار بأن هذا السؤال في مكانه، إذ لا أساس لكثير من الآمال المنصبة اليوم على "حل الدولتين"، وبالأحرى - هناك مخاوف فلسطينية حقيقية من أن "الحل" (إذا افترضنا مثل هذا الحل) سيأتي بـ "دولة مسخ" غير قابلة للحياة، ومنقوصة السيادة، ومفروضة على الفلسطينيين فرضاً، وبثمن إلغاء حق العودة من جهة، والإقرار بيهودية الدولة الإسرائيلية من جهة أخرى. فهذا ليس "حل الدولتين" الذي تصبو إليه الأكثرية الفلسطينية، وهو ليس الحل التاريخي للصراع مع إسرائيل، والذي

المشروع الكامل سيجيب عن مثل هذه الملاحظات والانتقادات التي لا مجال لإثارتها هنا. ومهما تكن ردة فعلنا على خلاصة هذه المقالة أو منهجها، فإن الهدف من نشرها في "مجلة الدراسات الفلسطينية" ليس سوى فتح باب النقاش بشأن فكرة "مبتكرة" ربما تكون مثقلة بالمشكلات أو العقبات أو التعقيدات، غير أنها تفسح في المجال أمام إعادة النظر في الأطر النظرية السائدة للحل، وإمكان الخروج من المأزق الذي أوصلتنا إليه تلك الأطر. ■

التي يعددها موسبرغ نفسه (وبغض النظر عما إذا كنا نوافق على تشخيصه لمثل تلك الهواجس أو لا). ويضاف إلى هذا أن مسألة الأمن المشترك تثير مشكلات نظرية وعملية جمة: فمن سيدافع عن "الأرض الواحدة" في حال تعرضها لهجوم خارجي، أو في حال اتهام أحد الطرفين بـ "العدوان" على دولة مجاورة، أو طرف قريب أو بعيد؟ من الواضح أن مقالة موسبرغ ما هي إلا مسودة أولية لمشروع لا يزال في طوره الجنيني، ولعل

صدر حديثاً عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية
والنادي الثقافي العربي - بيروت

فلسطين

وصراعنا مع الصهيونية وإسرائيل

مجموعة مقالات ومحاضرات، ١٩٥٧ - ٢٠٠٩

وليد الخالدي

٤٧٩ صفحة ١٥ دولاراً